

## الإنسان في الحياة

يشمل الإنسان في هذه الحياة ، المسكن الأول بين المخوقات جميعاً ويستأثر بالمزايا ، التي أعدتة لتسخير السكر من قوى الطبيعة ، وتهيئة أسراب الحيران وكنائبه ، والفتك بالعتدى منه ، واستئصال شأفة الآفات .

والأديان والحضارات والعلوم والفنون وما إليها كانت ثمرة وجود الإنسان في الحياة ، أو نشأت ونظمت لكي تضيء له النور . وتحمل له المشعل في ظلمات الحياة ، فيتخطاها ويمضي في طريقه بعمراً هذا السكون العجيب . وحسبنا أن نسجل هنا رأى عالم بصالة كبير هو الدكتور الكسيس كاريل ، الجراح العالم وحامل جائزة نوبل الطبية سنة ١٩١٢ لنجاحه في وصل أوعية الدم بعضها ببعض ونقل الأعضاء وزرعها وقد درس الإنسان أكثر المخوقات غموضاً واغساعاً كتابه « الإنسان ذلك المجهول » واصفاً : « ما هو جسمك وما هي وظائفه وما يعينك على أن تكون صحيح البدن والعقل وبدلك على ما يحضرك قال ول دورانت مؤلف قصة الفلسفة : « إن هذا الكتاب هو أعمق كتب الأدب الأمريكى الحديث وأعظمها قيمة وأحفظها بالحكمة » . وقال ستيفن وايز : « سوف يكون له أثر عظيم في تفكير الناس أجيالاً طويلاً » .

يقول المؤلف : ان المرء يمتاز عن سواه بقامته وهياته وعيانه ويبدل مظهره على ما في جسمه وعقله من قوى وماله من صفات . فالرجل الذي كان في عصر النهضة ( بعد القرون الوسطى ) هدفاً دائماً للاختطاف والمخرب والذى تعهد اكتشافات جاليليو بالحسابه بالفلسه التي اولها روائع ليوناردو دافنشي لا يشبه الرجل الحديث الذي يتقلب في ظلال الترف ويقصر تأملاته على أفلام السينما السخيفه ويردف سمعه للبداياع .

إن كل عصر يسم بميئته الكائنات البشرية التي تعيش فيه وأقدم بدأنا نشهد هذه الأجيال الجديدة من البشر التي صاغت حياتهم السيارات والراديو وفنون الرياضة . فهيتنا تشكلمها ما تألفه أبداننا من عادات بل تشكلمها أفكارنا المألوفة أيضاً . وصور وجوهنا وأفواهنا وأساريرها تحددنا الأحوال التي تألفها العضلات وهذه الأحوال إنما تعتمد على حالة العقول . فقسيمات وجهك تصبح وأنت لا تدري عامرة بشعور كيانك كاه وشهواته وأمانيه . ولا يرى الذي يقرأ ما في صفحة هذا الوجه ردائل الكائن الحي أو فضائله وذكاه أو غباه وهما احتمال في إخفائه من عاداته فحسب بل يرى فيه أيضاً تكوين جسده وما هو عرضة له من الأمراض البدنية والعقلية . إن جمال الشباب مستمد من ذلك الانسجام الطبيعي بين أسارير الوجه . أما جمال الشيخوخة وما أندرته فتمتعه الروح .

يتوقف مظهر العظام والعضلات والجلد والشعر على تغذية الأنسجة وهذه التغذية إنما ينظمها تركيب مصصل الدم ، أو قل : نشاط الغدد وجهاز الهضم . وظاهر الجلد مرآة تنعكس عليها أحوال الغدد الهيم والمعدة والأمعاء وجهاز الأعصاب . وثمة تفاوت عظيم في وظائف الأعضاء بين الرجل الطويل النحيل والرجل القصير الممتلئ . فالطويل عرضة للإصابة بالسلس والعتة ، والقصير للموس المتردد والسكر والروماتزم والقرس . واند كان الأطباء القدماء في تشخيصهم الأمراض يعاقبون أهلية عظيمة على المزاج والطباع ، وكانوا على حق . ففي وجه كل امرئ صورة جسمه ووروجه . ويكاد الجلد يكون حدوداً منيعة مضروبة على دنيا مستورة محبوبة ، وهو قادر على إتلاف الميكروبات التي تعيش على سطحه ، مستعيناً بمواد تفرزها غدده . ولا ينفذ فيه الماء ولا الغاز ، ولا يمكن في استطاعة بعض الكائنات الدقيقة القتالة أن تجتاز الحدود . وظاهر الجلد معرض للضوء والرياح والرطوبة والجفاف والحر والبرد . أما باطنه فيتاخم عالمياً من الماء دائماً محرماً من الضوء تعيش فيه الخلايا كأنها أحياء البحر ويستمد الجلد حياته من طبقاته المتعددة من الخلايا التي تتكاثر ببطء وإلى غير نهاية . وتموت هذه الخلايا ولا يزال بعضها متصلاً ببعض كأنها لبنات على سطح ، وهي كمثل هذه اللبنات لا تفتأ الريح دائبة تأخذ منها . ولا يفتأ الجلد يعيضم لبنات جديدة مما تذهب به الريح .

وتحس كريات اللبس الشائنة تحت الجلد كله بالضغط والالام والحر والبرد ، فما كان منها في اللسان فهو يتأثر بطعم الطعام وبالحرارة أيضاً ، وتؤثر نذبذبات الهواء في جهاز الأذن المعقد . وتستجيب شبكة أعصاب الشم

الروائح . ومن أجل ذلك كانت سمة الفرد تابعة لسمة سطحه البادي لأن  
المخ يتشكل بالرسائل المستديرة التي يتلقاها من العالم الخارجي . ومن أجل  
ذلك ينبغي أن لا ندع عاداتنا الجديدة ونحن لا ندري تغير من حالة هذا  
الغلاف . فمنه مثلاً لا ندرك تمام الإدراك ما للتمرض لاشعة الشمس من  
أثر في نمو الجسم كله فيخلق بنا إذن أن لا نقبل الاسراف بغير حساب في  
دفع جلودنا بلقح الشمس .

إن الإنسان لا يستطيع أن يفهم الكائن الحي بدراسة جثمانه الميت لأن  
أنسجة الموتى قد حرمت دمها الجارى وهمل وظائفها . والمضو الذي يفصل  
عن الوسط المفضى الذي يعيش فيه لم يعد له وجود . وفي الجسم الحي يجرى  
الدم في كل مكان فتستحم كل الأنسجة فيما يحتوى عليه من سائل شفاف .  
فلمسكى نفهم هذا العالم الباطن كما هو يجب أن ندرس أعضاء الحيوان الحي  
والإنسان كما نراها أثناء الجراحات لا كما تتفق لنا في أبدان الموتى وينبغي  
أن لا نفرق بين الخلايا وبينها كما يفعل علم التشريح فان كل الخلايا الحية  
تعتمد في حياتها اعتماداً مطلقاً على الوسط الذي تكون مغمورة فيه وانها  
لتغير هذا الوسط تغييراً لا ينتهى وتغير به . والحق أنها جزء منه وليس لها  
غيره حياة .

يتألف الدم من حوالى ٢٥ إلى ٣٠ ألف بليون خلية حمراء و ٥ بليوناً  
من الخلايا البيض وهذه الخلايا كلها معالقة في سائل هو المصل ويحمل الدم  
لكل نسيج من أنسجة الجسم غذاءه المناسب ويقوم في الوقت نفسه مقام  
الأنابيب التي تلتى فيها الفضلات المتخلفة عن الأنسجة الحية ويحتوى الدم  
كذلك على مواد كيميائية وخلايا قادرة على ترسيم الأعضاء كلما مست

الحاجة . وإن خواصه هذه في الحق لمجيبه ، فإن الدم في أدائه هذه الوظائف المدهشة يعمل ما يعمل السيل الذي يكون ما يحمل في عيابه من الطمي والشجر سبباً في إصلاح ما يتداعى على حفافيه من معاهد الممران .

وهذا المصل ، الذي هو زانر بمواد أكثر مما يظن ، يحتوي على مواد زلاية وأحماض وسكريات ومواد دهنية وفيرزات من كل الفده والأنسجة وعلينا بطبيعة أكثر هذه المواد ووظائفها الشديدة التمهيد علم ناقص . وفي الدم فرق هذا أجسام مضادة للميكروبات ، تبسده حين يكون لزاماً على الأنسجة أن تحمي نفسها من غزو الجراثيم . يضاف إلى ذلك أن في هذا لمصل مادة زلاية تدعى الفيبرين ، تلتصق خيوطها من تلقاء نفسها بالجروح فتكفيها عن النزف .

ويسرى في الجسم بأسره هذا الفيض من مواد الغذاء . وليست أغشية الجسم بمساحاتها الواسعة جداً مرشحاتاً لهذه المواد فحسب ولكنها تقوم منها أيضاً مقام المصنع الكيميائي . وتفرض الأغشية المخاطية التي تغطي باطن الجوف مقادير عظيمة من السوائل وتمتص مثلها فتأذن لخلاياها للاطمحة هذه هضمها أن تنفذ إلى الجسم ولكنها تمنع الميكروبات التي تزخر بها قناة الهضم أن تنفذ . وهذا العدو المخوف لا يقل خطره ولا يزول في الحلق والآنف تعيش الميكروبات الفيروسية وفي اللوزتين تشوي الجراثيم السبحية وجراثيم الدفتريا وشمكاتر ميكروبات التي التيفودية والدوسنتاريا بسهولة في الأمعاء وسلامة أغشية التنفس والهضم لها سيطرة عظيمة على مقاومة الجسم للأمراض المعدية وعلى توازنه وكفايته واتجاهاته الفكرية

وأشد غدد التناسل أزر القوى البدنية والعقلية والروحية جميعا ، لما من خصى أصبح فيلسوفا عظيما قط ، أو عالما كبيرا أو حتى بحرا ما خطيرا وتفرد الخصيلتان والمبيضتان في الدم مواد معينة تجعل لأفعالنا كافة ميزاتنا الخاصة ، فافراز الخصيلتين يورث الجرأة والضرارة والقسوة وهي السجايا التي تميز ثور الصراع من الثور الذي يجر المحراث في الحقل . ويؤثر إفراز المبيضين في كيان الآتى أثرا مشابها

والفلذة من النسيج إذا وضعت في قارورة احتاجت إلى مقدار من السائل يعادل حجمها ألفي مرة كي لا تقتلها فضلاتها السامة في بضعة أيام . وعلى هذا لو أن الجسم البشري أحيل عجينة وزرع زرعاً صناعياً لتطلب ٢٢٥٠٠٠ لتر من السوائل المغذية والسكن نظراً للحال الخارق الذي امتزجت به الأنسجة المسؤولة عن دورة الدم في الجسم وعن ثروته من المواد الغذائية ؛ وعن نقص الفضلات منه على الدوام نجد أنسجتنا تستطيع أن تحيي في سبعة لترات أو ثمانية من السوائل بدلاً من ٢٢٥٠٠٠ لتر

ويسرى الدم في الأنسجة بسرعة تكفي لمنع تركيب الدم من أن يتأثر بما يلقى فيه من الفضلات ويقدر كل عضو مقدار الدم اللازم له وسرعة جريانه فيه ، وذلك بمهارة الأعصاب التي تسيطر على أوعيته الدموية . فالمنع وسائر الأعضاء يتطلب كل منها ضغطاً خاصاً للدم الجارى فيه ويتوقف أمر مساوكتنا ونوع أفكارنا على حالة دورتنا الدموية توقفاً كبيراً . وكل الجسمود البشرية تابعة لحالة هذا الوسط الغذائى

وعند ما يعود الدم من العضلات والأعضاء إلى القلب تدفعه نبضات القلب إلى شبكة الشعيرات الدموية الهائلة في الرئتين إذ تأخذ كل كرة

حرام حفظها من أوكسجين الجو وفي الوقت ذاته تنفص في الجو الخارجي  
 إلى أكسيد الكربون بحركات التنفس وتم تنقية الدم في الكلى حيث تنفصل  
 منه بعض المواد خارجة مع البول ، وحيث تقدر هي مقسدار الأملاح  
 الضرورية للمصل ويجرى عمل الرتين والسكلى بكفاية عظيمة وإن نشأتهما  
 البالغ هو الذي يبيء للبيئة المائية اللازمة الأنسجة الحية أن تكون قليلة في  
 مقدارها كل هذه القلة ويبيء للجسم البشرى أن يكون مدججا خفيف الحركة  
 وفي الدم فوق ما فيه من أوكسجين الهواء ومنتجات المضم في الأمعاء ،  
 نوع آخر من المواد المغذية مكون من إفرازات العدد الصم التي من خواصها  
 العجيبة أن تصنع من مفردات الدم الكيميائية مركبات جديدة . ومن عمل  
 المركبات أن تغذى بعض الأنسجة وتنبه بعض الوظائف ويشبه هذا  
 الأسلوب في أن يحدد الشيء نفسه بنفسه أسلوب تربية الإرادة بجهد الإرادة  
 نفسها فالغدة الدرقية والغدتان فوق السكيتين ، والبمكرياس متسلا تصنع  
 مركبات جديدة هي الثيروكسين والأدرنالين والأنسولين على التوالي ، فهي  
 مصانع كيميائية حقيقية . وتصنع بهذه الطريقة مواد لاغنى عنها في تغذية  
 الخلايا والأعضاء وفي شتى وجوه النشاط البدنى والعقلى . وهذه الظاهرة تشبه  
 في غرارها سيطرة تستطيع بعض أجزائها أن تصنع الوقود الذى تستهلكه  
 أجزاءها الأخرى ، وأن تصنع المواد التي تعجل حرق هذا الوقود ، بل أن  
 تصنع خواطر المهندس الميكانيكى نفسه أيضا وإلى هذه الغدد يعود الفضل  
 في حياة الجسم وما ينطوى عليه من شتى ألوان النشاط

فالإنسان أولا كيان قائم على التغذية ، فهو مركب من حركة دائبة بين  
 مواد كيميائية وتجري المادة جريانا دائما بين خلايا الجسم كلها تهب الأنسجة

ما تتطلبه من الطاقة وتمنعها المواد الكيميائية التي تبنى لأعضائنا ومن اجنا  
كيانها المؤقت الرقيق

هذا وليست وظائف الجسم من دقة التحديد كأعضائه وإنما هي أقل منها  
في هذه الناحية بكثير . فالهيكل العظمي مثلا ليس دعامة للجسم وحسب ، بل  
يؤلف أيضا جزءا من أجهزة الدم والتنفس والنداء . مادام يستعين بنسجها  
عظامه على صنع الخلايا البيضاء والحمراء والسكند تفرز الصنوبراموتفتك بالسموم  
والميكروبات وتخزن المشاء الحيوانى وتنظم تمثيل السكر فى كيان الجسم كله  
وتنتج الهيبارين . وعلى غرار ذلك لا يقتصر البنسكريباس ولا اللدنتان فوق  
السكيتين ولا الطحال على وظيفة واحدة بل لكل منها وجوه مختلفة من  
النشاط وتكاد تشاطر الجسم كل ما يجرى فيه من أمور وليس العضو محدودا  
بحدوده الظاهرة ولكنه يصل الى حيث تصل المادة التي يفرزها ، فكل خدة  
تبسط ظلها على الجسم كله بافرازها الخاص : فلو فرضنا أن المواد التي تنتجها  
الخصيتان كانت زرقا لشاع اللون الازرق فى جسد الذكر كله ، وان كانت  
الخصيتان نفسيهما أشده عن سواهما زرقة ، ولا تشر هذا اللون الخاص فى كل  
الانسجة والأعضاء حتى الغضاريف والعظام

ويحدد العضو نفسه بطرق تعد فخرية على العقل . فما هو بالمصنوع من  
مادة دالة عليه كما يصنع البيت ولا هو بينيان مرصوص من الخلايا ، إنه  
بالبداهة يكون من خلايا كما يتكون البيت من لبنات ولكنه يولد من خلية  
واحدة حتى كأن البيت قد استوي بناؤه من لبنة واحدة ، لبنة سحرية  
طفقت تصنع سواها من اللبنة وهذه اللبنة لا تنتظر تصميم المهندس ولا  
قدوم البنائين ليتجمع بعضها على بعض وتنشئ الجدران ، وهي أيضا تتحول

فتصير الواحا للنبـ ووافذ و بلاط للستقف و فجا للتدفئة و ماء للطبخ و حماما .  
وكذلك ينمو العضو بوسائل تشابه الوسائل المهزوة إلى الجنيات في أساطير  
الأطفال و يتخلق من خلايا كأنها تعلم ماسيكون عليه الصرح المشود و تحافظ  
له من محتويات فصل الدم مواد البناء بل توجد له العيال أيضا

والجسم غاية في القوة يعد نفسه للاجواء من زمهرير التطبين إلى قيظ  
المناطق الحارة ويقاوم كذلك الحرمان من الطعام ، وأهوال الجوع  
والتعب والشدائد والإنسان أصلب الحيوان عودا وإنما لنديم مقارنة الجسم  
بالآلات في غير وعى ففوة الآلة تعتمد على المعدن الذي صنعت منه ولكن قوة  
الإنسان مستمدة من مرونة أنسجته و تماسكها وقدرتها على النمو لا على  
التأقت والقناء وقوتها على التغير كما تغيرت الظروف وليست مقاومة  
الإنسان للمرض واحتماله للعمل والمتاعب وطاقتسه على السعي وتوازن  
أعصابه سوى آيات لسموه على سواه

وهذه المزايـا وإن كانت وراثية قد تسمى حتى في أعظم الأمم وأغناها  
ويدل تاريخ المدنيات الفابرة على أن مثل هذه الكارثة محتمل الوقوع ويوهب  
الفرد المنحدر من سلالة أمة عظيمة إذا لم يبدل بالانحلال مناعة طبيعية من  
التعب والخوف فهو لا يفكر في صحته ويتجاهل وجود الأطباء وينظر إلى  
نفسه كأنما قضى عليه أن يناضل ويحب ويفكر ويقوم وهو يواجه البيئة التي  
يعيش فيها تشمل البساطة التي يثب بها الحيوان الضاري على فريسته غير  
شاعر بتكوينه المعقد أكثر من شعور هذا الحيوان

إن كثيرا من الناس ليسوا أصحاء وإن لم يكونوا مرضى وامل مر  
ذلك إلى نقص يشرب نشاط بعض الأنصبة في أجسامهم فقد يكون إفراز

هذه الغدة أو ذلك الغشاء المخاطي دون الكفاية أو فوقها . وقد تكون  
أجهزتهم العصبية مرهفة الاحساس أو لا تكون أنسجتهم من القدرة على  
مقاومة العدوى بحيث ينبغي أن تكون وتجلب هذه النقائص على مثل أولئك  
الاشخاص شقاء كبيرا وسيكون من يثر في المستقبل على طريقة ما التحريض  
الانسجة والأعضاء على أن ينسجم بعضها مع بعض في النمو بحسنا قد أدى  
للإنس أكثر مما أدى باستير نفسه

وللجسم وحدته في المرض كما أن له وحدته في الصحة فهو يمرض جميعا  
إذا مرض ولا يبقى أى انحراف يصيبه مقصوراً على عضو واحد لا يتعداه  
واقدم كان من آثار الفكرة التشريحية القديمة للجسم البشرى، أن انداق الأطباء  
إلى النظر إلى كل مرض كأنه وقف على العضو الذى يصيبه وقلنا استطاع أن  
يفهم هذا الجسم إذا اعتل سوى أولئك الاطباء الذين يعرفون الانسان  
تفصيلاً وإجمالاً فى عقله وبدنه وعلى السواء

يدخل فى تركيب المراكز المخية سوائل تحتوى على مفرزات الغدد  
والانسجة التى تشيع فى البدن كله وكذلك يكون كل عضو ممثلاً فى قشرة المخ  
السبب فإذا حرم الدم وسائلك الشفاف من إفا از الغدتين فوق السكتيتين  
غالب على نفس المريض فتورها وكل منا يدرك كيف تتأثر شخصية الانسان  
بأمراض الكبد والمعدة والأمعاء ويتضح من ذلك أن خلايا الاحشاء  
تختلف فى سوائل الجسد مواد معينة تؤثر فى وظائفه العقلية والنفسية

وتؤثر الحسية أثراً تمييزياً فى قوة العقل وقدرته . وبقول السبب  
والدنانور والتعد يسون وكذلك الغزاة الناتجون هم عامة من أصحاب القوي

الجنسية العظيمة ويحدث استئصال الغدد الجنسية بعض التطور في قوى العقل ويبدو أن الإلهام يعتمد على أحوال خاصة في الغدد الجنسية والطلب إذا لم يدرك بنيتة فيه العقل قلوا ظنر دانتى ببياتريس فقصارت خليلته فلربما تقدمنا « الكوميديا الإلهية » آية الشعرية ومن المعروف أن الاطراف الجنسية يعوق نشاط العقل ويبدو أن الذكاء لكي تكتمل قواه يحتاج الى غدد جنسية كاملة النور يظاها قبح مؤقت للشهوة

فاذا ألب المرء عواطف المسند والبعض والخوف أصبح في قدرتها أن تحدث تغيرات عضوية وعلا حقيقية فآلام النفس وتباريحها تزلزل الصحة وربما الاعمال الذين يجهلون كيف يكافحون الهوموم يموتون صغاراً وتسيطر العواطف على انبساط الشرايين الصغيرة أو انقباضها بواسطة الاعصاب التي تنظم الدورة الدموية فهي مصحوبة إذن بتغيرات في هذه الدورة فالسرور يخرج الوجه حمرة والفرح يجعله شاحبا وذلك أن الطرف المؤثر إما أن يبيع افراز الغدد أو يعطله أو يغير تركيبه الكيمياءى . وقد قام الدليل على أن الصدمة النفسية قد تسبب تغيرات واضحة المعالم في الدم . ويورث التفكير نفسه أو انا من الأذى للبدن وتلشىء فبذبة الحياة الحديثة واضطرابها الذى لا ينتهى حالات في العقل تصيب المعدة والأمعاء باضطرابات عصبية وعضوية وتؤدي الى نقص التغذية وتنعجم جراثيم الأمعاء في الدورة الدموية وئمة الترابات شتى في الكلى والمثانة ليست الا آثارا بعيدة أسبابها من جراء اضطرابات قديمة تقاوم العقل والنفس ومثل هذه الأمراض تسكاد تسكون بجمولة في طوائف المجتمع بحيث مناهج الحياة أكثر بساطة وحيث القلبي تنابها أقل ودواما ومثل هؤلاء أولئك الذين يحافظون على سكينه نفوسهم في

صنعت الحياة فهم بمنجاة من كل اضطراب عصى أو عضوى فالإنسان إنما يفكر ويخترع ويحسب ويتألم ويعجب ويصلى بعقله وأعضائه جميعاً

وجهود العقل تنميتها الرياضة ، والذكاء ينبغى أن يصاغ بالتمهيد على التفكير المنطقي . فكل إنسان يولد وقوى عقله تختلف عن قوى سواه ، ولكن أيا كان أمر هذه القوى الحكامنة من قوة أو ضعف ، فهي في حاجة إلى الرياضة المستمرة . فقوى العقل ينميتها التمهيد على التفكير المنظم ، ودراسة المنطق ، وخضوع العقل للنظام وقوة ملاحظة الأشياء وعلى تقيض ذلك كان مما يعوق نمو العقل تلك الملاحظات الحافظة وتلاحق المؤثرات وتغير المرء إلى التفكير الرتب ويؤثر أيضا نمو الذكاء في بعض عادات الميضية والطعام ولعمل التغذية والإفراط في الألعاب الرياضية يمنعان نمو العقل فالرياضيون عامة ليسوا على حافة التفكير من الذكاء ومن المحتمل أن يكون العقل يتطلب لكي يصل إلى أقصى نموه سلسلة من الظروف لم تجتمع إلا في عصور معينة. فماذا كان منهاج حياة أولئك الرجال الذين عاشوا في العصور الجيدة من تاريخ المدنية ؟ وماذا كانوا يأكلون ؟ وكيف كانوا يعملون ؟ انما نساكنا نجهل كل الجاهل سر نشأة الذكاء ومع ذلك فنحن نؤمن بأن عمول الأبطال يمكن تنميتها بتدريب الذاكرة وشتى الرياضات التي تمارس في المدارس الحديثة

وللعناية على ما رهبوه من قوى الملاحظة وسعة الإدراك من أيا أخرى كالبعيرة والخيال المبدع وبهذه البصيرة يعملون أشياء يجعلها سائر الناس فالقائد الحق من قادة الشعوب لا يحتاج الى اختبارات نفسية في اختيار أتباعه بل هو يتصدر الرجل قدره في لمح البصر ويدرك فضائله وورثته والعالم

العظيم يتبع بشرية السبيل الذي يؤدي به الى الكشف عن مجهول والمعرفة التي يعتان بها الأطباء العظام في العاب ارضاهم في هذه الاحيان إنما تنبع من هذا ينبوع وهذه الظاهرة كانت تسمى يوماً ما إلهاماً

والإرادة والذكاء عملان متساويان في أرقى البشر تهندياً وحضارة

ومن الإرادة والذكاء تنشأ كل قيم الأخلاق وكل امرىء يولد على قدر محدود إما صالحاً أو طالحاً أو بين بين ولكن الأخلاق يمكن أن تنهى كالذكاء بالتعليم والنظام وقوة الإرادة فالخير يعادل الاحسان والعدل والجمال والشر يعادل الأنانية والحسة والقيح ولكن يحافظ المرء على استواء عقله وبدنه يجب عليه أن يفرض على نفسه نظاماً تخضع له. ويجب على كل انسان أن يدرك ضرورة اخضاع نفسه لمثل هذا النظام بمجموعه من ارادته هو .

ان الذكاء والإرادة والخلق متقاربة النسب أشد تقارب وان كان الاخلاق أهم كثيراً من الذكاء ، فاذا عدمتها أمة من الناس بدأ كيانها الاجتماعي كانه يتقوض والجهود الساعية الى تهذيب الاخلاق لم تقل ماهي خلية به من النهاية ، فيجب أن تدرس مسائل الاخلاق بطريقة ايجابية كما يدرس الذكاء ومثل هذه الابحاث لا يمكن القيام بها في معمل ولا غنى عن دراستها في البشر أنفسهم ولكن هذه الجهود الاخلاقية تقع في حيز الملاحظة العلمية دون ريب

إننا حين نلاقى ذلك الشخص النادر الذي يسير في الحياة سيرة يستلهمها من مثل خلقي أعلى . لا يسمعنا الا أن ننتبه الى طاعته فان الجمال الخلقى ظاهرة نادرة نسترعى تلفت النظر ولا ينساها المرة أبداً . وهذا النوع من الجمال أشدأثراً

من جمال الطبيعة وهو يجعل للدين رزقوا من تفحاته الملوية قوة هجينة خفية  
السر وينقى قوة الدهن وينقى السلام بين البشر ويكن للمدنية أكثر مما  
يمكن لها العلم والفن

ان خاصة الجمال مركبة في فطرة البشر من أدنى درك في سلم المدنية الى  
أعلى درج فالانسان يسره أن يعمل أشياء أوحى له بها نفسه . وفي أوروبا  
تجد فنانيين بين الطهاة وقطاع الحمبر وصناع الأحذية والميكانيكيين ،  
وأولئك الذين يصبون الفطائر على أشكال جميلة وذرق دقيق والذين يطارقون  
الحديد ليصنعوا منه الأبواب الفخمة — يحسون من ندوة الإبداع ما يحسه  
عظماء النحاتين والموسيقيين

ويظل نشاط حاسة الجمال كامنا في معظم الناس لأنهم انقلبوا فصاروا  
آلات فالعامل يقتصر على صنع مفردات من العمل ، ولا يتاح له أن يصنع  
الشيء كاملا أبدا بل لا يؤذن له أن يستعمل ذكاه إن الصناعة تحرم على المرء  
كل لون من ألوان نشاط عقله الذي يمكن أن يمدده كل يوم بتناع . وقد  
ارتكبت المدنية الحديثة خطأ كبيرا ، حين ضحمت بالعقل في سبيل المادة ،  
ويتفاهم أمر هذا الخطأ لأنه لم يجد من يثور عليه ولأن الناس قد هان عليهم  
أن يتقبلوه كما تقبلوا الحياة الضارة بالصحة في المدن الكبيرة وكما تقبلوا أن  
يسجنوا في المصانع وكيفما كان فإن أولئك الذين يجدون في عملهم أثاره من  
الشعور بالجمال أكثر سعادة من أولئك الذين لا يعملون الا لكي تستهلكوا  
ما ينتجون ان الجمال كامن في كل مكان وهو يفيض من الأنامل التي تصب  
آية الفخار أو تنسج الحرير أو تنجت الرخام أو ترتق فتوق لحم البشر وتراه  
في جداول جالييليو لرياضية كما تراه في تجارب باستير وهو للذين يكشفون

الغطاء عن مستقره معين سعادة لا يفرض .

وقلما تجد في الرجل من أهل هذا العصر سمات النشوة الروحانية أو الروح الدينية ، فأغلب الناس لا يرى الكنائس إلا متاحف ديانات بائدة والنشاط الديني ليس سوى إمام عام من يتجه بالإنسان نحو قوة تسيطر على هذا العالم انه ضرب من الصلاة لم تقيده صورته أو نحتت عن الجمال المطلق وهذا النشاط سخى كل النسخاء فهو يد الإنسان بقوة كاملة في الضمير . وانه في الروح . وسكنة لا يحيط بها الوصف

هناك نون بعيد بين قوة أجسادنا على البقاء ، وامرأع بناجرها الى التحول فالإنسان مكون من مادة رخوة قابلة للتغير متميئة للانحلال في بضعة ساعات ومع ذلك فلو كان قد صنع من الفخول لما كان أطول بقاء . وهو خير من الحيوان بكثير في الملازمة بين نفسه والظروف المتبدلة والتقلبات الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية ويعود مثل هذا الاحتمال الى طريفة النشاط الخاصة التي تتخذها أنسجته وأخلاطه فبدلا من أن يتهافت الجسم قانه يتبدل وترتجل أعضاؤنا على الدوام وسائل نواجه بها كل موقف جديد .

فإذا استرحل نصف الغدة الدرقية ازداد حجم النصف الباقي ، وكانت زيادته أكبر مما يلزم بوجه عام . واستئصال كلية واجدية يلبه تضخم الأخرى ، ولو أن إفراز البول يمكن أن تكفله كلية واحدة سليمة . وإذا لم يكف إفراز غدة ما ، فإن الغدد الباقية تزيد من نشاطها لتعوض إفراز الغدة المعطلة . وإذا اختلت الكليتان ارتفع

ضبط الدم في الشرايين كي يدفع مقداراً أكبر من الدم خلال المرشح المختل.

وكل عنصر من عناصر الجسم يتشكل ليوائم صائر العناصر وكذلك تفعل كما يعينها على ذلك ارتباطها جميعاً بالسوائل العضوية والجهاز العصبي، ويبدو أن كل جزء يدرك حاجات الجسم كما في الحاضر والمستقبل فيعمل على أساس ما تقتضيه ويشعر الجسم بالمستقبل شعوره بالحاضر فاذا ما أشرف الحمل على غايته أخذت السوائل تتدفق الى أنسجة الشفرتين والمهبل فتصبح هذه الأنسجة رخوة مطاطة وتعمل مرور الجنين فيها ممكناً بعد بضعة أيام . وفي الوقت نفسه تصاعف الغدد الثديية خلاياها ثم تشرع في عملها قبل الولادة . وكذلك يتهيأ الثديان لإرضاع الطفل وينتظرانه . ومن الواضح أن كل هذه الاعمال تمهد لحادث مقبل .

وتظل الأنسجة تمهد للمستقبل طوال حياة الجنين فالأجزاء التي تتكون منها العين مثلاً تتعاون على هدف معين وإن يكن هدفاً مستقبلاً فبئناً جزء من سطح المخ يتكون منه عصب البصر وشبكية العين ويتحول الجلد الذي يغطي هذه الشبكية الناشئة تحولا عجيبياً فيشف حتى يؤلف القرنية والعدسة البلورية ويؤسس هذا الجهاز المبصر العظيم الذي نسميه العين . فبأية وسيلة تؤثر الشبكية المنتهبة في الجلد فتجعله يصنع عدسة قادرة على إبراز صور الدنيا الخارجة على أطراف أعضائها

وأمام العدسة تشكل القرصية نفسها على صورة غشاء مثقوب يتسع ثقبيه أو يضيق تبعاً لشدة الضوء. يضاف إلى ذلك أن شكل العدسة يهيئها نفسها بنفسه كي يستطيع الرؤية القريبة أو البعيدة وصلته هذه الأجزاء بعضها ببعض عملاً يمكن إيضاحه

إن صلة الأعمال العضوية بعضها ببعض تصبح ظاهرة عتبات النزف في البداية تنقبض جميع أوعية الدم فيزداد حجم ما يبقى فيها من الدم نسبياً ، وبذلك تحتفظ الشرايين بضغط يكفي لاستمرار دورة الدم ، ويشعر المصاب بظماً شديداً ، فتتفقد سوائل الأنسجة خلال جدران الأوعية الشعرية وتغزو مجرى الدم ، كما أن الدم يمتص السوائل التي تدخل المعدة ، ويستعيد حجمه الأصلي ، ثم يستمد الخلايا الجرثون مستودعاتها الاحتياطية في الأعضاء التي تحتزن فيها وفي النهاية يأخذ نخاع العظم في صنع خلايا حمر يكمل بها تجديد الدم . وتصارى القول أن أجزاء الجسم جميعاً تشاطر في هذه الظاهرة

فاذا أصاب الجلد أو العضلات أو أوعية الدم أو العظام أذى ، هياً الجسم نفسه في الحال ايلاً ثم الحالة الجديدة ويجرى كل شيء كما لو كان الجسم يتخذ تسلسلة من الخطوات كي يصلح الفساد الحادث ، وكما حدث في تجديد الدم تنهض إلى العمل أجهزة مختلفة المكان متحدة الهدف . فإذا قطع شريان انبثق منه الدم بغزارة وانخفض الضغط الشرياني وأحسن المصاب بغشية مفاجئة ، ثم يقل النزف ويتكون في

الجرح غشاء من الفيبرين وعندئذ ينقطع النزف وخلال الأيام التالية التالية تغزو الخلايا البيض وخلايا الأنسجة هذا الغشاء وتداب على إقامة جدار الشريان

وإذا انكسرت جراحة من جوارح الجسم فإن الأطراف المصنونة من العظام المصدوعة تمزق العضلات وأوعية الدم . وسرعان ما تحاط بغشاء دموي من الفيبرين ثم تنشط الدورة الدموية فتتورم الجراحة المصابة وتفيض على العضو الجريح المواد الغذائية اللازمة لتجديد الأنسجة وتتجه كل الجهود نحو الإصلاح فتصير الأنسجة إلى الحالة التي ينبغي أن تكون عليها لتؤدي نصيبها من العمل المشترك فتتحول مثلا قطعة من العضل قريبة من موضع الكسر إلى غضروف ويستحيل هذا الغضروف فيما بعد إلى نسيج عظمي ويحدث خلال هذا الإصلاح عدد عظيم من الظواهر الكيميائية والعصبية والدموية والخلوية . هذه الظواهر كلها متصلة بعضها ببعض ، ويبدأ الدم الذي يسيل من الأوعية ساعة الإصابة، أعمال التجديد الفسيولوجية وتتلاحق الظواهر ناشئا بعضها عن بعض

ان علمنا بهذه الخطوات التي يتخذها الجسم نحو الشفاء ، هو الذي خلق الجراحة الحديثة ولو لم يكن من الجسم هذا السعي في سبيل البره لمسا استطاع الجراحون أن يعالجوا الجروح اذ لاسلطان لهم على

أسباب الشفاء ، وإنما يقتصر ون على توجيه هذه الأسباب الى تعمل عملها من تلقاء نفسها

على أن ثمة عوامل لا تجدى فيها هذه الأسباب المصلحة أية جدوى فرضن الزهرى مثلا أحد هذه العوامل فهو لا يترك فريسته مختارا أبدا وهو يستقر في الجلد أو أوعية الدم أو المخ أو العظام فلا تقوى خلايا الجسم ولا أخلاطه على قتله ولا ينالس الزهرى قياده للعلاج الطويل والسرطان كالزهرى لا يجد من الجسم مفاومة فهذه الأورام قريبة الشبه بالانسجة الطبيعية حتى تجد الجسم لا يشعر بوجودها ، وأما أعراضها حين تظهر فليست الا نتائج مباشرة لافاعيل الورم السيئة ، أو منتجاته السامة أو اتلافه عضوا مهما أو ضغطه على عصب من الاعصاب

ان البيئة تسم الكائنات البشرية بوسمها الذى لا يحى ، ويؤدى النشاط العنيف الذى يبديه العضل ايضا الى تطورات دائمة ، فالرعاة يكتسبون قوة ومنعة ومرونة لا يمكن ان يظفر بمثلها اى رياضى محفوف بالترف الذى تهيئه له الجامعات الحديثة

لقد كان بقاء الإنسان فى الأزمان الغابرة يرجع كله الى قدرته على مطابقة نفسه لما يحيط به اما المدنية الحديثة فقد استطاعت بمعونة علم الصحة والعيش الناعم والمستشفيات والاطباء والأمراضات ان تبقى على حياة كثير من البشر الضعاف البنية ويساهم هؤلاء الضعفاء وذرائعهم مساهمة كبيرة فى اضعاف الجنس كله . ولعل الاخلاق بنا ان ننبذ هذا

النوع الزائف من الصحة ونصرف جهودنا الى طلب العافية الطبيعية .  
ويبدو ان عمل هذه الاسباب المصاحبة ينبه كل وظائف الاعضاء  
فالإنسان يصل الى اقصى نموه حين يكون عرضة لعوادي الحر والبرد  
وحين تكون وجبات طعامه وافرة حيناً وزهيدة حيناً آخر . وحين  
يبدل جهداً جميلاً لكي يظفر بطعامه ومأواه . فقد كتب عليه ان  
يروض عضلاته وان يتعب نفسه ويربحها وان يناضل وان يتألم وان  
يسعد وان يحب وان يبغض وان ارادته لتتطلب ان يتعاقب الجهد  
عليها والراحة وينبغي له ايضاً ان يكافح اخذانه او يناضل نفسه . لقد  
خلق لمثل هذه الحياة كما خلقت المعدة لطضم الطعام . فاذا ماتت  
وتكاثرت اساليب مطابقتها لما يحيط به بانمت رجولته غاية تمامها ونحن  
نعلم اي قوة في البدن والحق ان فرد بها اولئك الذين خضعوا منذ  
طفولتهم لنظام حكيم والذين عانوا بعض الحرمان وراضوا انفسهم  
على ما حاق بهم من الشدائد . فالمرء اذا خف كساؤه وكان عليه ان  
يصون حرارة جسمه بالرياضة العنيفة ، تعمل كل اجهزته البدنية عملاً  
كثيراً متواصلاً . وعلى نقيض ذلك ترى هذه الاجهزة تظل هاملة  
اذا ما اتقى المرء الجو البارد بالفراء وبالملبس الدافئ . وبجهاز تدفئة الهواء  
في السيارة المغلقة او بجدران الغرف المدفأة بالبخار . ان رجل العصر  
لا تضرب الريح جلده قط فليس عليه ان يذود عن نفسه الثلج او المطر  
او الشمس مدة ساعات . وقد كانت الاجهزة المسؤولة عن تنظيم

حرارة الدم والأخلاق البدنية في العهود الماضية تظل في نشاط متواصل من جراء كفاحها العادية الحر والبرد. أما اليوم فقد أصبحت في عهود مستديم

وإذا عاش المرء عيشة أكثر شظفاً وأشدّ عناء استرد قوة نفسه وبسالتها فينبغي أن نستبدل باطراد الحياة ولين العيش في المدارس عادات أقرب إلى الرجولة . فالمرء حين يطابق نفسه لما يحيط به من النظم تلحقه تطورات واضحة في جهازه العصبي وفي غدده الهيم ، وفي عقله فيصيب الجسم بذلك خطاً أوفر من السكّال ونصيباً أعظم من القوة وقدرة أسمى على اقتحام مصاعب الحياة .

والانسان يميل بطبعه إلى إشباع شهواته . كشهوة الخمر مثلاً وشهوة السرعة وشهوة التغيير على الدوام . ولسكن إشباع هذه الشهوات إشباعاً كاملاً يفضي إلى الانحلال فعليه اذن أن يروض نفسه على السيطرة على جوعه وعلى نزواته الجنسية وعلى كسله وعلى كفه بالخمر وعلى حاجته إلى النوم

ان رجل العصر اما مفرط في النوم واما مفرط تفرطاً فهو لا يعد نفسه لمطابقة ما يختلف عليه في هذا الامر . وخير له أن يعود نفسه على أن يظل يقظاً حين تدركه الرغبة في النوم فإن مقاومة النوم بحرك أهضاء تنمو قوتها بالتدوين وهي تقضى أيضاً ببذل مجهود من الإرادة . وهذا

المجهد وكثير من أمثاله قد قضت عليه مناهج الحياة في العصر الحديث  
ان الفرد والجماعة تضعفهما شدة الفاقة وخطر الشراء كخطر الفاقة  
فالفرغ من ملكة للفقراء والاعتياء جميعا. فالسنوات والحفلات والراديو  
والسيارات والالعب الرياضية لاتصلح أن تكون عوضا عن العمل  
الحكيم . وثم شرطان أساسيان في رقي الانسان هما شيء من العزلة  
والنظام وفي وسع كل انسان أن يروض نفسه على هذه الشروط . ففي  
طاقة كل امرئ أن يرفض ارتياد سننات معينة أو الاصغاء لبعض  
اذاعات الراديو وقراءة بعض الكتب أو الصحف ولسكن تجديد  
بفوسنا يتوقف في الاغلب على نظام العقل والخلق ونبتذ طباع القطيع  
وأهم ما يكون مثل هذا النظام في زمن السكرولة والشيخوخة خاصة .  
اذ يبدو أن دووب الجسم والعقل تلى العمل يرجى نزول السبخوخة .  
والعمل أجسدى من السكرحول والمورفين في احتمال الشدائد والبطالة  
نعناعف جميع الآلام . ومجهود العقل المتطاوول العنيف يسم الانسان  
تسمة لا تزول

ان العمل ينشط الوظائف البدنية والعقلية كلها وكما عملت العضلة  
ازدادت نماء فالعمل يقويها ولا يوهن قوتها . والعضو اذا أهمل ضمير  
وذبل والذكاء والاخلاق كالععضلات والاعضاء تدبل من قلة التمرين  
فبذل الجهد أمر لاغنى عنه للانسان كي يبلغ غايته من الرقي والتهديب .

## الشخصية وكيف تتكون

الشخصية أو الذاتية هي تلك الصورة أو السمة المادية والمعنوية التي يتسكون ويتشكل ويتجدد بها الرجل أو المرأة في المجتمع وأمام نفسه وأمام الناس وحيال التاريخ فيعرف الانسان بها فيقال : هذا رجل شجاع أو مهيب أو عظيم أو عالم أو أديب أو فني أو مستقيم نزيه أو كريم أو قوى الخلق أو بحيل أو دنيء واهن الخلق .

وعلى هذا لكل انسان في محيطه الخاص أو المحيط العام سمة يمضي بها بين الناس ويشيرون به اليها أكثر من تميزه باسمه . وحسبنا أن نذكر أن عظيم أمريكا بنيامين فرانكلين كان يؤمن بأن الشخصية القوية تعين صاحبها على النجاح وقد وضع لنفسه دستوراً خاصاً سماه « دستور الشخصية » واتبعه منذ صباه . وهذه هي نصوص دستوره :

- ١ - لا تفرط في الطعام والشراب الى حد التخمرة ولا تتعاطى المكيفات .
- ٢ - لا تتكلم إلا لكي تفيد نفسك أو غيرك و ٣ - نظم عملك ووقتك واستفد من أوقات الفراغ .
- ٤ - ففكر ملياً قبل أن تقدم على التنفيذ .
- ٥ - لا تنفق مالك الا فيما ينفعك واقتصد في الكماليات .
- ٦ - لا تضيع وقتك وجهودك في اللهو والمعبث و ٧ - تجنب

الخداع وكن صريحاً وعادلاً ، وخذ اد واجبك في حينه و بكل اخلاص واحترم آراء الناس ولا تخطيء محادثك . و٩ - لا تتطرف في آرائك ولا تتعصب لها ولا تحمل في نفسك اساءة الى غيره ، وكن دائماً حسن النية قري الثقة بنفسك وبين تعامل معهم و١٠ - اعتن بنظافة جسمك وملابسك ومسكنك و١١ - لا تثر لآتمة الأمور بل كن رصيناً وتحكم في اصدابك وحافظ على رباطة جأشك وكن هادئاً حتى في أخرج الظروف . و١٢ - لا تنبذل ولا ترسكب المربقات ولا تفعل ما يخل بالشرف والكرامة وحافظ على سمعتك وكن متواضعاً .

### قوانين مراحل الشخصية

١ - ان اول شعور يحسه كل كائن حي هو شعوره بما ينقصه منذ عهد الطفولة فالطفل لا يستطيع الكلام او السير او مقاومة الجوع اذا عضه في حين يستطيع ذلك والداه وغيرهما من البالغين القادرين وهن هنا ينشأ في الطفل الشعور بعدم اكتماله ونقص كفايته فتتعلق قواه الذهبية تدعها قابلية آية لاشباع حاجاته ورغباته .

٢ - وهدف الكائن الحي نحو الاكتمال ينشأ في اللاشعور خلال دور الطفولة لأن الوعي الكامل لا يكون قد وجد بعد ولا يزال هذا الهدف يساير الناس كلما نما وتم وعيه حتى يكتمل نموه وفي بعض

الأحيان يتخذ الهدف شكلا خياليا كأن يطمح المرء إلى المجد والعظمة أو أن يصبح من أصحاب الملايين أو يرحل في آفاق العالم سعياً وراء الألبام بكل شيء فيه

٣ - وهدف الفرد يمثل في العادة تعويضاً كاملاً لانتقص كفايته ، حتى يعادله أو يزيد عليه

وتتمثل فكرة الهدف ، بالنسبة إلى الطفل ، في شخص يرى أن فيه قوة وكالا ينقصانه ، فالفقير يرى الفنى فيريد أن يكون مثله ، والطفل الضعيف المضم يرى نفسه فيما يرى النائم رجلاً بدين الجسم واسع الثراء ، والطفل المصاب بقصر النظر يريد أن يدرس كل شيء عن النجوم

٤ - وهدف الفرد فيما يتعلق بأنموذج حياته سبق نضج قواه . فهو لهذا قد يمثل تعويضاً لثقافتهم تبدو أنها موجودة أو يتركز في هدف مثالي يظهر للياقنين أنه ناقص غير مكتمل

فأهدافنا في الحياة تشكل اذن طبقاً لتفسيرنا الخاص لثقافتنا أو فكرتنا الخاصة عن التقدم ولا تعتمد على حقيقة هذه الثقافات أو حقيقة ذلك التقدم

٥ - وحياة أى فرد نموذج لتطور من حالة يعتقد أنها ناقصة إلى هدف يراه كاملاً . وتثبت فكرة الهدف في اللاشعور وتعمل فعال المخاطيس في جذب حركات الانسان الى تيارها

فالطفل الصغير يتمنى أن يصبح من رجال أطفاء الحريق لأنه ساخط على حالته الصببانية ويرى في هيب النيران وآلات الأطفاء حالة كمال تليق به والأقزام يودون لو أصبحوا عمالقة والعمالقة لا يفكرون أبداً في أن يكونوا

أقزأما فالحياة الانسانية اذن تطور من ضمن متصور الى قوة مفترضة  
٦ - والكائن الحي لا يستطيع أن يفعل شيئاً يخرج به عن أنموذج تكوينه  
وهذه الحقيقة هي التي تحكم كل شيء في عالم الطبيعة: فالأفيال لا تنقلب في نموها  
الى طيور كما أن أشجار التفاح لا تثمر برتقالاً . وفي علم النفس قانون عظيم  
الأهمية هو الوحدة الكاملة للنموذج الفردي ، فكل شيء نفعله أو نفكر  
فيه أو نخافه أو نتجنبه يجب أن يكون منسجماً مع وحدة النموذج الفردي  
وهذا هو السبب في أن الأحلام وذكريات الطفولة ورباضتنا المحببة  
وملابسنا التي نرتديها وهواياتنا وزوجاتنا وغير ذلك يجب أن تنفق  
والنموذج نفسه .

وعلى هذا الأساس تستطيع أن تكمل شخصية أي إنسان من خمس وقائع  
هامة أو ستة ومن هنا نرى أنه لا حاجة بنا الى التحليلات الطويلة التي  
تعهد اليها مدرسة التحليل النفسي فهي - الى جانب خطئها وخطرها -  
تربط المريض الى قيد من الابحاث غير المجدية عن ماضيه . ويفوت المحللين  
أن نموذج الشخصية يمكن تحديده بعد جلسات قصيرة لبضعة أسابيع حتى  
ولو كذب المريض على من يعالجه فالناس قد تعلموا الكذب بالألفاظ  
ولكنهم لا يقوون على الكذب في عوارض انفعالاتهم أو في أحلامهم  
أو في الطريقة التي يكتبون بها . كما أنه لو تعارضت كلماتهم مع أعمالهم  
الاشعورية فان الاعمال الاشعورية دائماً هي الأساس الحقيقي الذي يكشف  
عن شخصيتهم

٧ - يتحدد هدف الحياة منذ الطفولة المبكرة فالتمثيل مجرى هذا  
النموذج بوجهة تجربة أو تحليل نفسي منتظم أو زيادة في معلوماته . و

تعرض فكرة الهدف لكثير من التعديلات كلما كبر الفرد ، وان كان لا تتغير تزييراً أساسياً .

وقد بدأ يحلل نفساني حياته طامحاً في أن يكون مدرباً للحيوان . ولما تمت ممارفته في الحياة رغب في أن يكون قائداً لفرقة موسيقية وبذلك درس الطب وفي نفسه رغبة الزعامة بين عشيرته وأخيراً تخصص في التحليل النفسي ، فهذا التخصص الأخير يمثل السلم النهائي لتطور فكرة هدفه منذ بدايتها

٨ - أن الكائنات الحية قد عاشت وستظل تعيش أبداً في جماعات . وفي هذا معنى تعويض الجنس البشري عن النصف الفردي بين أعضائه . ويعيش الفرد في بدء حياته عائلة على جماعة صغيرة هي أسرته حتى ينمو ويكبر وبذلك تدفع عنه أكبر نقائص الطفولة وينمو الطفل ويتطور موجهاً هدفه وقوته إلى اكمال هذه النقائص بحيث يكون مفيداً للجماع الذي أنبته

٩ - والانسان يكيف تجارته دائماً بما ينجم وأنموذج حياته :

وقف ثلاثة رجال مرة أمام شجرة كبيرة فقال أحدهم : أستطيع أن أنشئ قاعدة جميلة لقاربي من جذع هذه الشجرة . وقال الثاني : أستطيع أن أصنع مئات الأحذية من ألياف هذه الشجرة

فالرجال الثلاثة قد واجهوا حادثاً واحداً ولكن كلا منهم قدره التقدير الذي يتفق وهدف حياته وأنموذجها

١٠ - وثمة في الحياة ثلاث مشكلات يجب أن يحلها الفرد وهي مشكلات الجماعة والعمل والناحية الجنسية

ولما كان التداخل في الحياة الانسانية عظيما فقد لا يتيسر حل هذه المشكلات. وإخفاقنا في حل أية واحدة منها سيحمل من يخلقنا حملا أثقل ، فضلا عما في ذلك من التخلف عن مركب الحياة وقد يتعامل البعض بالقاء التهمة على غيره وفي ذلك خداع للنفس وتهرب من المسؤوليات . والمصدر الحقيقي لذلك هو الخوف والجهل

١١ - ان الأداة التي يستخدمها الفرد في تحقيق هدفه في الحياة تعبر عن سلوكه وشخصيته والانسان الكامل تتوافر فيه صفات الشرف والاخلاص والنزاهة والثقة بالنفس والكرم والشجاعة ، لأن هذه جميعا أفضل وسائل الوصول الى هدف السعادة الانسانية

وفي الامس تنمو صفات الخيانة وعدم الشرف والفظاظة ، لا لأنه ولد معه هذه الصفات ولكن لأنها من مستلزمات طريقته في الحياة

والكشف عن صفة واحدة في الفرد لا يعرفنا بسلوكه وهذا يشبه استحالة تفسيرنا لالحان قطعة موسيقية كاملة ونحن لانعرف الا أوزان « نوتة » واحدة

١٢ - وأخيرا . . . فان السعادة هي نتيجة السكال والنجاح الانساني . . . والفرد الذي يكمل نقائصه بشكل اجتماعي ناجح يحصل على السعادة التي لا يمكن أن نحىء مصادفة وهي تتوافر لك اذا استطعت وأنت يافع أن تتحول نقائص طفولتك الحقيقية والمفترضة الى نواحي تقدم لها قيمتها الاجتماعية

وعنصر السعادة الأساسيان هما الشجاعة والمعرفة والطريق الوحيد الى بلوغها هي الذوق السليم والعمل ؛ والحب والخيال ، ولطف المعشر . . .

## أثر الحياة الجنسية في الشخصية

يقول الدكتور أدوين باورز في مجلة «فيزيكال كالتشار» «الثقافة الطبيعية» أن الإفرازات الباطنة للغدد الصماء وما يصحبها من أثر سحري عثيف في المخ والجهاز العصبي بل في سائر وظائف الهضم وتكوين الدم والخلايا من الناحية العامة. هذه الإفرازات لا تتحكم الحركات والانفعالات فحسب بل تتحكم أيضا في الحياة الجنسية والخلق والمزاج خيرا كان ذلك أم شرا

وترجع معرفتنا بهذه المواد الكيميائية والوسائل التي بها تتحكم تغيرات الخلايا العجيبة المعقدة إلى نصف قرن مضى . على أن الطريق قد شق قبل ذلك في مجاهل النظريات ثم تبين في وضوح وظيفة الغدة الدرقية ، إذ استطاعوا عزل المواد المعقدة التي تسيطر على إفراز هذه الغدة . كما عرفت تفاعلاتها الكيميائية وأصبح أثرها في إحداث الشذوذ والنقص ثابتا . وقد كشف الستار عن بعض أسرار الغدة التخامية والادرينالية والبنكرياس والثايمية والغدد الجنسية .

ويبدو على ملاحظ الأفراد بل الأسر والشعوب والاجناس ما يدل على اختلافهم الذي يرجع إلى إفرازاتهم الباطنة مما يبسر لنا أن نصنف في وضوح لأفراد والأسر والاجناس طبقا لهذه الصفات المميزة . والواقع أن البيان الخاص بالإفرازات الباطنة لأي فرد من الأفراد يصلح مقياسا لذلك الفرد في معرفة الطابع الاجتماعي والجنسي والجسماني الذي ينتسب إليه .

وهكذا فنحن سنتهمى عاجلا إلى النتيجة الآتية بالنسبة إلى الشخصية  
الإنسانية وهي أن الشيء الدقيق الذي يميز بين شخص وآخر على وجه هذه  
الأرض يرجع إلى حد كبير إلى الاختلاف القائم في سمات وخصائص  
الافرازات بين فود وآخر

ونستطيع أن ندرس التاريخ ، على وجه الاطلاق ، في ضوء خصائص  
الغدد الدرقية لهؤلاء الذين أشرفت صفحاتهم في التاريخ ، أو تركوا صفحات  
سوداء بأعمال العنف والشر . فالمباقرة العظام في جميع المصورات مثال  
هو ميروس ، شمسبير ، ميخائيل انجل ، ليوناردو دافنشي ، بيكون ،  
واشنطن ، لنكون - يتميزون في مجموعات خاصة بينما كاليجولا ونيرون  
وأتيلاس - يدخلون جميعا في صنف يعرفه في وضوح طالب علم الغدد .  
والشواذ من طراز الوافه من الناس ، والأفراد الذين يبدو عليهم صفحات  
واضحة كالسادية وحب التمدد ، أو انحرافات جنسية ، ينتسبون إلى  
طراز ذوى الغدد الدرقية الشاذة . وكثيراً ما يتخلصون من ذلك الشذوذ  
بتنظيم افراز للغدة الدرقية .

وأكثر الأمراض شيوعاً في أمريكا وهو النورستانيا ذلك المرض  
الذي ينعكس في صفات واضحة على شخصية المرء تمتد جذوره دون شك  
إلى إجهاد الغدة الأدرينالية . وكان داروين مثلاً بارزاً لآثار هذا الانتماء  
كما كان أيضاً هربرت سبنسر الذي قيل عنه بحق إنه حيوان مسكين بل فر  
الحيوانات لفقره في « الأدرينالين »

ولو أن أحداً من هؤلاء المباقرة كان موجوداً اليوم وأراد أن ينمى فقر

الأدرينالين لكان من المؤكد استفادتهم من الاستعمال الحكيم لخلاصات الأدرينالين وغيره من الغدد

وشواذ الغدة النخامية كثير و الشيوخ وتدرج أعراضهم من الصداع الشديد إلى الصرع العنيف وكان يوليوس قيصر أحد الأمثلة البارزة على هذا النقص . ومن المثل الآخرين بيرون وفلوبير ودستوفسكي . ويؤدي نقص إفراز الغدة النخامية كذلك إلى أنماط ثابتة عند من يتميزون بوقف النمو أو « الصليمانية » كما يسمى أى العود إلى الطفولة . وقد يصحب نقص الأدرينالين انيميا ظاهرة ( فقر الدم ) مما يلون الفكر كما يؤثر دون شك على شجاعة الفرد . وكنا يعرف ماذا يعنى اصطلاح « الدمويين » بينما من جهة أخرى يحمل اصطلاح « الصفراويين » صورة أخرى معينة . هلى هذه الشاكلة ترتبط تعبيرات معروفة بانحرافات في الغدد الأخرى بما في ذلك الغدد الجنسية .

و دراسة خصائص الغدد الهباء الكثير من المشهورين وغير المشهورين من رجال التاريخ ، تلقى بعض الضوء على الأثر البعيد للغدد في الشخصية . كانت غدة نابليون النخامية في غاية الضبط ، ويبدو هذا واضحا في بروز ملاحظه وقوة فكره وترسل شعره الفاحم وسمرة بشرته وليونة يديه الصغيرتين وكل أو تلك أدلة لطالب علم الغدد عن طيبة الاثرة في الرجل

ويؤيد التقرير الذى وضعه الدكتور هنرى بعد تشريح لجنة نابليون على نقص الغدة النخامية أو اختلال وظيفتها قبيل وفاته . وفي ذلك التقرير يقول : كان الدهن ينطلى سطح الجسم كله بطبقة عميقة وقد بلغ سمك الدهن بوصبة فوق عظام الصدر إذ تكون العظام بارزة على وجه عام ، وبلغ بوصبة وبوصبة ونصف بل بوصتين فوق البطن . ولم يكن لشعر الجسم وجود

أما شعر الرأس فقد كان رقيقا وقليلًا وناعما أما الجهاز التناسلي فكان صغيرا جدا مما يدل على وجود علة جسمية في فقدان الرغبة الجنسية وفي العفة الظاهرة التي امتاز بها الفقيد في أثناء إقامته بجزيرة سانت هيلانة . ومن الملاحظ رقة الجلد ونسوجة بياضه وكذلك اليدين والذراعين . والحقيقة أن الجسم كان مشوقا ونسائيا . أما عضلات الصدر فصغيرة جدا ، والكفتان ضيقان ، والحوض واسع ،

هذا الوصف يدل في دقة على التغير البارز الذي يحدث فينا لانعدو الحقيقة إذا قلنا إن تلك الطبيعة الانثوية هي التي تترتب على عجز الغدة النخامية عن العمل الصحيح

وصحيح ما أورده الدكتور روبين في كتابه البديع « انتخاب الأجناس والفريزة الجنسية » ذلك أن المسلم به عامة الآن أن الإفرازات الباطنة للخصيتين والمبيضين لها من الأثر في تشكيل الخلق والشخصية عند الفرد أكثر مما لجميع الغدد الأخرى مجتمعة

وجميع الجهود البشرية في الابتكار ترجع من أحد الوجوه إلى انعكاس الفريزة الجنسية أو السمو بها وليس في تاريخ العالم أجمع مثل واحد بارز لا أثر في الشعر أو البناء أو التصوير أو النحت أو الصياغة أو المال ابتداءه مخنث . وربما كان في التاريخ العربي أحد المشواذ هذه القاعدة . وهو القائد « ملوك » الذي كان يخدم عثمان

ويمكن القول أيضا - مقررين في ذلك إحدى الحقائق - أن النساء اللاتي صنعن التاريخ كانت رغباتهن الجنسية مشبعة . وفي الواقع فإن كثيرا ممنهن مثل كاترين دي مدسيس وكاترين امبراطورة روسيا لم تكن لرغباتهن

الجنسية نهاية هذا وإن أوساط الناس الذين يبدوون سعيًا سلبيا لصحة الجنس الآخر مع سبب طبيعي للأطفال وتقدير صحيح لروح الزمالة ، هؤلاء ، يكون صلبهم الجنسي سلبيا ، أما رقة النساء وعمومية صوتهن واستدارة صدورهن واعجازهن ولطف طبيعة الأمومة فيهن ، كل هذه الصفات البادية للعالم أجمع كما هي بادية لأطفالها ، فهي أثر من آثار نشاط المبيضين

فذلك الذي نعتته بانفط و الشخصية ، إن هو في نهاية الأمر إلا الوظيفة القوية للحياة الجنسية . ونستطيع أن نبين هذا في وضوح ، في الجاذبية القائمة بين الجنسين وفي الشخصية البارزة

ويؤدي اختفاء النشاط الجنسي الى الأثرة والى ميل خاص الى ما يسمى بالسادية . وهذا النوع من الناس يقف في معارضة كل مظهر لنشاط الجموع والمجاهير

وظهور شهوة التعذيب عند بعض الرجال ترجع الى فقدان الرجولة . وأصحاب الشفا ، الدقيقة والشعر القليل الذين يرفعون عصا العدالة على الظهور المارية هؤلاء الذين يعدونهم خارجين على القانون تسمعون ويسمعون في المائة من طواز ضعاف الشهوة الجنسية

ويحدثنا كرافت ايبنج ، وشرنك نوتزنج ، وغيرهما من علماء النفس وكذلك اتباع مذهب فرويد بأن القسوة والوحشية وعدم السماح والغياة وهذه الصفات الدالة على هذا الطراز من الناس ، إنما هي تعبير عن النقص أو العجز في الغريزة الجنسية تجد تعويضها في هذه الأعمال

وهكذا ترى أن الشخصية وخصائص الحياة الجنسية ، كلاهما يرجعان الى

حد كبير لشاغل الغدد الصماء ويصحب الانحراف في وظائف الغدد الصماء - كما رأينا في مسألة نابليون - تمييز خفيف جدا قد يحول الرجل الى مخنث

### كيف تكسب الأصدقاء

لما كان « كتاب كيف تكسب الأصدقاء » وتؤثر في الناس » لمؤلفه « ديل كارنجي رئيس معهد كارنجي للالتقاء المؤثر والملاقات الإنسانية ، بمدينة نيويورك ومؤلف كتابي « الخطابة » و « وحقائق مجهولة عن المشاهير » قد اشتهر في عالم التأليف ، فقد آثرنا أن نلخص هنا أهم ما فيه ، ذا كرين أنه في الثلاثين عاما الماضية درب ديل كارنجي أكثر من ١٠٠٠٠٠ من رجال الأعمال والمهنيين المحترمين ، بينهم ألف من أشهر الناس ، على الخطابة وسياسة الناس وبلغت من عظم فائدة متابعيه في دوائر الأعمال أن شركات مثل « شركة وستنجهاوس للسكر بيا وحسناعاتها » و « شركة مالك بيجرو - هيل للنشر » و « شركة تليفونات نيويورك » أدخلت هذا التدريب في مكاتبها لأعضائها وموظفيها ومجالس إدارتها . ويشير المؤلف : « إن هذا الكتاب لم يكتب بالمعنى المألوف . وإنما بما ستكون من تجارب آلاف من البالغين في قصصهم . » ومن « خزان » هذه التجربة الراسخة النطاق تدفقت ثروة من دروس الحكمة والحصافة في العلاقات الإنسانية ، خص بها كتاب « كيف تكسب الأصدقاء ، وتؤثر في الناس »

وقد تحدثت تحت عنوان « النقد عقيم » قائلا : في مايو سنة ١٩٣١ قبض على مجرم سفاح مشهور اسمه « كراولي ذو المسدسين » بعد أن حاصره مائة

وخمسون من الشرطة المسلحين بالمدافع الرشاشة وقنابل الغازات فقال مدير بوليس نيويورك : إن هذا العيار « بتشديد الياء » من أخطر المجرمين في تاريخ نيويورك . وقال : « إنه يقتل لأهون سبب وأتفه باعث »

ولكن كيف كان كراولى « ذو المسدسين » ينظر الى نفسه ؟ إنه كتب رسالة عنوانها هكذا : « الى من عسى أن يعنيه هذا » فى حين كان الشرطة يطلقون النار عليه فى حجراته وفى هذه الرسالة يقول : « ان تحت ثيابي قلباً مضني ولكننه رقيق - قلباً لا يطيب له أن يمس أحداً بأى سوء »

وقبل ذلك بوقت قصير كان كراولى يتنزه مع صاحبة له فى طريق خلوى حيال « لونيغ أيلند » فأقبل شرطي على السيارة الواقفة وقال : « هات رخصتك » فما كان من كراولى الا أن أخرج مسدسه بلا كلام ورمى الشرطي فأرداه وقد حكم على كراولى بالإعدام على الكرسي الكهربي . ولما جرى به إلى غرفة الإعدام فى سجن « سنج سنج » لم يقل : « هذا جزائي على قتلى الناس » وإنما قال : « هذا جزائي على دفاعي عن نفسي »

ومغزى هذه القصة هو أن كراولى « ذا المسدسين » لم يلم نفسه على شيء ما فهل هذا هو الموقف المألوف بين المجرمين ؟ اذا كان هذا ظنك فاستمع الى ما يقوله المستر لوز مدير سجن سنج سنج : « قل بين المجرمين من يعدد نفسه رجلاً سيرياً ، ومن أبهل هذا يذهبون الى أنه ما كان ينبغي أن يتسجنوا ، ويصرون على ذلك بكل ما فى طاقتهم من قوة »

وإذا كان الاشرار الذين تحيط بهم جدران السجون ، لا يحملون أنفسهم تبعه شيء ، ما - فما رأى فى غيرهم ممن نحتك بهم نحن ؟

أما أنا فقد ذهبت أتعثر نحو ثلاث قرن قبل أن أتبين أنه في كل ٩٩ مرة من مائة ، ما من رجل يأخذ على نفسه شيئاً ما ، وأن النقد هبت لأنه يدفع المنقود إلى اتخاذ موقف الدفاع ويحملة عادة على الاجتهاد في تسويغ ما فعل والنقد أيضا خطر لأنه يجرح كبرياء المرء ويسبى إلى شهرته بفيجته وشأنه ويشير امتعاضه ونفوره

وقد اتفق لي وأنا في مقتبل العمر ، أيام كنت أحاول أن أفنت الأنظار إلى نفسي أن كتبت رسالة سخيقة إلى ريتشارد هاردنج دافيز ، وكان يومئذ مؤلفاً مشهوراً ، وكنت أعد مقالا لإحدى المجلات : عن المؤلفين ، فرجوت من دافيز أن يفضي إلى بطاريقته في العمل . وكنت قد تلقيت قبل ذلك رسالة في آخرها هذه الحاشية : «أمليت ولم تراجع ، فوقعت الحاشية في نفسي موقعا عميقا ، وشعرت أن الكاتب لابد أن يكون كثير العمل عظيم الشأن . ولما كنت أريد أن أقع في نفس ريتشارد هاردنج دافيز هذا لموقع ، فقد ختمت رسالتي إليه بهذه الحاشية «أمليت ولم تراجع ،

ولم يتكلف دافيز قط أن يرد على رسالتي واكتفى بأن يعيدها إلي وعليها هذه العبارة : «ان سوء أدبك لا يفوقه الا سوء أدبك ، ولا شك أني كنت أستحق هذا التأنيب والكنى بشر ولهذا امتعضت . وبلغ من شدة استيائي أني لما قرأت فيه بعد ذلك بعشر سنين كان الذي لا يزال يخامرني ويدور في نفسي - ويخجاني أن أقول ذلك - هو الألم الذي أورثنيه .

وينبغي أن تذكر في معاملتك للناس أنك لاتعامل أهل منطق بل أهل عواطف وشهور ونفوس حافلة بالأهواء ، يسيرها الكبر والغرور . وإذا

كان همك أن تثير غداً عداوة تبقى على الأحقاب وتدوم مادامت الحياة فنا عليك إلا أن تجرى لسانك بشيء من المقصد اللاذع - بالغة ما بلغت ثقمتك بأنك على صواب فيه :

لقد كان بنيامين فرانكلين كثير فلتات اللسان وغشاته في شبابه فراض نفسه حتى صار حصبياً كيباً لبقاً في معاملة الناس حتى اختير سفيراً لأمريكا في فرنسا . أتريد أن تعرف السر في نجاحه ؟ قال : « إن أذكر أحداً بسوء وسأحرص على أن أتكلم بكل ما عرفته من خير عن كل انسان »  
ولقد قال الدكتور جونسون . « ان الله يأسيني لايحاسب الانسان لا بعد انتهاء أهله »

فماذا أفعل أنا وأنت غير ذلك ؟

يقول الأستاذ جون ديوى - أحمق فلاسفة أمريكا : « ان أقوى دافع في العليمة البشرية هو الرغبة في أن يكون المرء شيئاً مذكوراً » فتذكر هذه العبارة « الرغبة في أن يكون المرء شيئاً مذكوراً » فانها جوع ملتهب لا يسكن ولا يفتقر ، وهذه الرغبة هي التي أغرت كاتب البقال الفقير غدير المتعلم - ابراهام لنكولن - بأن يدرس القانون وهي التي ألهمت ديكنز أن يكتب رواياته الخالدة وهي التي تغريك بارتداء أحدث الأزياء وبطلب وظيفة أرقى وبالتحدث عن بنيتك اللاذكية

ويتراض بعض الناس أحياناً ليفوزوا بالعطف والثناء والالتفات وليفئدوا الشعور بأن لهم قيمة ويذهب بعض الثقة الى ان بعض الناس يعيهم الجنون فعلا ليجدوا في عالم الاحلام الذي يتيح الجنون ذلك الشعور بالاهمية الذي حرموه في عالم الحقيقة القاسي

فإذا كان هذا مبلغ ظمأ الناس الى الشهور بالاهمية فتصور المجهزات التي نستطيعها اذا نحن لم نبخل عليهم بالتقدير المنصف ! ان الانسان النادر الذي يسهه أن يسكن هذا الجوع النفسى يسهه أن يضع الناس فى راحة يده لقد كان أندرو كارنيجى - ملك الصلب - ينقدتشارلز شواب مرتباً سنوياً لم يسبق له نظير مليون ريال فهل كان ذلك لان شواب يعرف عن صناعة الصلب أكثر مما يعرف سواه ؟ كلام فارغ ! فقد أخبرنى شواب نفسه أنه كان معه رجال يعملون له ، ويعرفون عن الصلب فوق ما يعرف هو ، وأنه إنما كان يتقاضى هذا المرتب لقدرته على معاملة الناس وما السر فى ذلك ؟

قال شواب : ه لنى أرى أن قدرتى على إثارة الحماسة والغيرة فى النفوس أعظم ما أمتاز به . والتقدير هو الوسيلة إلى ابرار شمير ما فى الإنسان . فما قتل الطموح فى نفس الإنسان كالذم من رؤسائه . لهذا ترانى أتوسخى أن أطرى وأكره أن أذم . وينقضى أن أعرف رجلاً - مهما بلغ من رفعة المحل - لا يكون عمله أجود ، وجهده أعظم ، بفضل الإطراء دون الذم . وكان التقدير المخلص من أسرار نجاح روكفلر فى معاملة الناس . مثال ذلك أن أحد شركائى - ادوارد بدفورد - جرد على الشركة خسارة بلغت مليون ريال فى صفقة خاسرة عقدها فى أمريكا الجنوبية ولو شاء روكفلر لعاب وذم ، ولكنه كان يعلم ان بدفورد فعل أقصى ما يدخل فى طوقه ومن هنا وجد روكفلر ما يثنى عليه فمناً بدفورد لأنه استطاع أن ينقذ ٦٠ فى المائة من المال الذى ثمره . قال « هذا بديع اولستنا نحسن أن نفعل مثل فى مكاتبنا هنا ،

والحقيقة أن كل رجل تلقاه تقريبا ؛ يشعر أنه خير منك ويفوقك في شيء ما ، فالطريق الى قلبه هو أن تدعه يدرك أنك تعرف قيمته ولا تشكرها  
إننا نغذي أجسام أطفالنا وأصدقائنا ؛ ولكن ما أقل ما نغذي احترامهم  
لأنفسهم

كلانا لست أشير بالملق فان الملحق جدير بأن يحقق عادة . والملق من  
طرف اللسان ، أما التقدير المخلص من القلب

فلنكف عن التفكير فيما صنعنا وفيما نحتاج اليه ؛ ولنحاول أن نفطن  
إلى مزايا الغير ؛ ولنوف هذه المزايا حقها من التقدير النزيه المخلص فان الذي  
يظهر بذلك منك يظل يذكره على كر الأعوام على حين تكون أنت قد نسيت  
قال إمرسون : « إن كل رجل ألقاه يفوقني من ناحية ما ؛ فأنا لهذا أتعلم  
منه » .

تحتاج في غد أن تقنع بعضهم بأن يفعل شيئا ما فنذكر قبل أن تتكلم أنه ليس  
ثم سوى وسيلة واحدة تحت قبة هذه السماء لحل أي إنسان على فعل أي شيء  
وهذه الوسيلة هي أن تجمله « يريد » أن يفعل الشيء

وقد كان أندرو كارنيجي أستاذا حاذقا في التأثير في الناس ، وذلك بأن  
يتحدث اليهم بما يحرك فيهم إرادة العمل . مثال ذلك أن أخت زوجته كانت  
شديدة القلق على وديها في الكلية فقد أهملها أن يكتبها اليها ولم يعيرها رسائل  
أمرها التفاتا . فعرض كارنيجي أن يراهن بمائة ريال على أن يعيرها بالرد  
مع البريد الراجع من غير أن يطلب ذلك منهما فقبل بعضهم الرهان منه  
فكسب اليها رسالة لطيفة ؛ وذكر عرضا في حاشية أنه أرسل لكل منهم

شحنة ريبالات غير أنه أهمل أن يرسل المال .

فجاءه الرد يرجع البريد .

وقد نهبت هذه الحيلة باعثاً يعد إذا قيس إلى غيره ، غير كريم ، ولكن من الممكن في كثير من الأحيان التأثير في الناس بتنديه أسمى البواعث الممكنة . وقد حدث أن رأى اللورد نورثكليف صورة له في جريدة لم يكن يريد أن تنشر فكتب إلى رئيس التحرير رسالة ولكن هل قال له فيها : أرجو أن لا تنشر هذه الصورة مرة أخرى فإست أرحق عنها ، ؟ كلا ! بل أيقظ في نفس المحرر الاحترام الذي نطوي عليه جميعاً الأمور فكتب يقول : « أرجو أن لا تنشر صورتي هذه مرة أخرى فان أمي لا تحبها »

ولما أراد جون د . روكفلر الصنير أن يكف مصورو الصحف عن رسم أبنائه لم يقل لهم : « لا أريد أن تنشر صورهم » كلابل نبيه إلى طرص الكامن في نفوسنا جميعاً على اتقاء مافيه أذى الأطفال فقال : « انكم تدركون الباعث لي ، فان لكم أبناء وإنكم لتعرفون أنه ليس من مصلحة الصغار أن تنكسر الدعاية لهم »

كان اتشارلز شواب مدير مصنع لا ينتج رجاله ما ينبغي أن ينتجوه فسأله شواب . « كيف اتفق أن رجالاً في مثل اقتدارك لا يستطيع أن يجعل هذا المصنع ينتج ما يجب أن ينتج ؟ »

قال الرجل . « لا أدري فقد حاورت العمال وداورتهم وحضضتهم ولعنتهم ولكنهم بأبون أن يزيدوا على ما يفعلون ، وكان هذا في آخر النهار » قبل أن يحنى عمال الليل .

فقال شواب : « أعطني قطعة من الطباشير ، ثم التفت إلى أقرب رجل وسأله : « كم أخرجتم اليوم ؟ » .  
قال : « ستة » .

فلم ينطق شواب بكلمة ، وانحنى فكتب بالخط الكبير رقم «٦» على الأرض بالطباشير وانصرف . فلما أقبل عمال الليل رأوا رقم «٦» وسألوا عنه مامعناه فقال لهم عمال النهار : « كان صاحب المصنع معنا اليوم ، وسألنا عن إنتاجنا فقلنا ستة فخطها بالطباشير على الأرض » وفي صباح اليوم التالي دخل شواب في المصنع فإذا عمال الليل قد محوا رقم «٦» وخطوا مكانه «٧» بالخط الجليل .

ولما جاء عمال النهار رأوا السبعة الكبيرة على الأرض فقالوا لأنفسهم : إن عمال الليل يظنون أنهم خير منا !! حسن ! سنريهم ! وعكفوا على العمل بحماسة وعيرة ، ولما انصرفوا في المساء تركوا وراءهم «١٠» ضخمه . ومالبت المصنع ، الذي كان يتلکأ في إنتاجه ، أن صار ينتج فوق ما ينتج سواه .

ولماذا؟ قال شواب : « ان الوسيلة لحمل الناس على العمل هي إثارة روح التنافس ، ولست أعني التنافس الدميم الذي غايته الحصول على المال ، وإنما أعني الرغبة في التفوق » .

وفي سنة ١٩١٥ لما ضمهم وودرو ولستون على إرسال رسول

مسلام الى سادة الحرب في أوروبا ، أراد وأيم جنتنجو برايان ، وزير الخارجية وداعية السلام ، أن يكون هو الرسول . ورأى أن هذه فرصة أتاحت له لتخليد اسمه ، ولسكن ولسون عين السكولونل هاوس ووكل اليه أن يبلغ برايان ، وهي مهمة شائكة . وقد كتب هاوس في يومياته يقول : « لقد كان من الجلي أن برايان شاب أملي ، ولستكنى بينت له أن الرئيس رأى ان ليس من المصلحة ان يتولى هذه المهمة احد رسميا ، وان ايفاده ( برايان ) يلفت الأنظار لفتاً قوياً ، فيروح الناس يتساءلون عن السر في قدومه » .

فهل ادركت المعنى الذي تنطوي عليه هذه العبارة ؟ ان هاوس يقول لبرايان انها كبر جداً من هذه المهمة ، وقد رضى برايان وارتاح ، ذلك ان السكولونل هاوس الخاذق الخبير بالدنيا واهلها يجري على قاعدة مهمة في العلاقات الإنسانية : اشعر غيرك السعادة حين يعاملون ما تقترح عليهم .

وقد حدث في مأدبة أن قصص الجالس الى جانبي قصة اقتبس فيها هذه العبارة : « ان هناك قدراً يصوغ مصائرنا كائناً ما كان ما نفعله نحن في تدبيرها ، وزعم انها من الإنجيل وكان مخطئاً ، فصححت له خطأه واظهرت اني أعلم منه ، ولسكنه أصر على زعمه . من شكسبير ؟ كلام فارغ ! انها من الإنجيل . وكان الى يسارى صديق قديم لي وقد درس شكسبير درساً وافياً ، فاتفقت انا وصاحب القصة ان نطرح الخلاف

عليه ، فأصغى صديقي ثم ركلى برجله من تحت المائدة وقال : « أنك  
مخطيء يا ديل ، وهذا السيد مصيب . فان العبارة من الإنجيل » .

ولما كنا في طريقنا تلك الليلة الى بيرتنا ، قال صديقي هلي سيديل  
الإيضاح . « لاشك أن الكلمة من شكسبير يا ديل ، ولما كنا  
ضيوفاً في مأدبة بييجة ، فلماذا تحاول أن تثبت لرجل أنه مخطيء ؟  
اتظن أن هذا يجعله يستألفك ؟ لماذا لا تدعه وشأنه ؟ ثم انه لم يطلب  
رأيك فلماذا تجادله ؟ اتق دائماً الزاوية الخادة » .

« اتق دائماً الزاوية الخادة » لقد كانت في حاجة شديدة الى هذا  
الدرس ، لأنى كنت مغرى بالجدل ، وقد جادلت أخى في شبابه في  
كل شيء تحت السماء ، ودرست في الكلية المنطق والمناظرة ، ثم صرت  
أعلمهما في نيويورك . وكانت النتيجة أنى انتهيت الى ان ثم وسيلة  
واحدة لإقامة الحججة وانهاضها ، وهى أن تجتنب اقافتها ا فى كل تسع  
مرات من عشر ينتهى الجدل بأن يصحكون كل من المتجادلين أشد  
اقتناعاً بأنه هو على حق ، ولا تستطيع أن تفوز ، لأنك اذا انتصرت على  
خصمك فانك تخسر ، لأنك ان تكسب قط رضاه وطيب طويته .

وقد قال وليم م . ماك أدو وزير الخزانة في عهد رياسة وودرو  
ولسون انه تعلم من السنوات الخافلة التى قضهاها فى السياسة : « أن من  
المستحيل أن تقهر جاهلاً بالحجة » وما ارى الا ان المستر ماو ادو قد  
آثر القصد ، فان تجربتى نثبتنى انه يكاد يكون من المستحيل ان تحصل

أى رجل - بغض النظر عن علمه أو جهله - على تغيير رأيه بالجدل .  
 مثال ذلك أن المستر فرديريك س . بارموني ، وهو مستشار في  
 الضرائب ظل ساعة يجادل مفتشاً للضرائب وكانت المناقشة على ٩٠٠٠  
 ريال . يقول المستر بارسونز إنها دين ميت ويقول المفتش إن ضريبةها  
 يجب أن تجبي .

قال المستر بارسونز : « كان هذا المفتش جامداً وتمعجراً وعنيداً  
 وكان يزداد عناداً كلما طال الحوار وأخيراً قلت له : « أحسب أن  
 هذه مسألة تافهة بالقياس إلى المسائل المهمة الصعبة التي تعالجها وتبت  
 فيها . وقد درست موضوع الضرائب ولكن معرفتي بها مشتتة من  
 السكتب . أما معرفتك فمستفادة من خط نار التجارب . واني لأتمنى  
 أحياناً أن يكون لي مثل وظيفتك فانها خليقة ان تعلمني كثيراً مما  
 اجهل ، وكنت مخاضاً فيما قلت فاعتدل المفتش على كرسيه واضطجع  
 وطفق يتسكلم طويلاً عن عمله وحدثني عن غش كثير كشف عنه .  
 وصارت لهجته ودية شيئاً فشيئاً ومالبت ان حدثني عن بنيه : ولما هم  
 بالانصراف قال لي انه سيدرس موضوعي مرة اخرى ثم يبلغني رأيه  
 بعد بضعة ايام . وعاد بعد ثلاثة ايام وقال لي انه قرر ان يترك الأمر  
 على ما هو مدون في ملفه . »

لقد كان هذا المفتش يبدى ضعفاً انسانياً شائعاً جداً فقد كان  
 مطالبه الشعور بأنه ذو شأن وخطر فلما كان المستر بارسونز يجادله كان

هو رضى شعوره بقيمته بتقرير سلطته وتجزيرها . فلما اقر له بارسونز بقيمته وطمأنه من هذه الناحية وانقطع الجدل وتيسر له ان يوسع نطاق ذاته انقلب انساناً عطوفاً رقيقاً .

وقد كفت عن القول لأحد انه مخطيء والفت ذلك نافعاً فان المنطقيين قلته واكثرنا متمحيز منكبوب بأراء سابقة يعتنقها . وقد نعترف فيما بيننا وبين انفسنا بالخطأ وقد نقر به لغيرنا اذا عاجلنا برفق وحكمة بل قد نباهي بصراحتنا ولسكننا لانفعل ذلك اذا حاول بعضهم ان يرغمنا على ازراء الحقيقة غير السائغة .

حدثنا فرانكلين في ترجمته بقائه كيف تغلب على عادة الجدل القبيحة ، وكيف عاج نفسه حتى صار من أقدر الساسة في تاريخ أمريكا . وقال انه حين كان شابا كثير العثرات اتحى به صديق قديم ناحية وقال له : « اسمع يا بني ، ان آراءك كأنها سياط تجلد بها كل من يخالفك ، وان اخوانك ليطيب لهم العيش حين تغيب عنهم ، وانك لتبدو أعلم من أن يستطيع أحد أن يرفك بشيء بل انه ما من أحد سيعاود ذلك لأنه سيجهد لا يثمر الا المتاعب فأنت لا يحتمل أن تعلم أكثر مما تعلم الآن وهو قليل جدا »

وكان فرانكلين حصيفا عاقلا فأدرك أن هذا حق فتحول . قال : « اتخذتها قاعدة لي أن اجتنب كل معارضة لآراء غيري وكل تقرير لآرائى بل حرمت على نفسى أن أستعمل لفظا يدل على رأى مقرر أو مفروغ منه مثل « على التحقيق » أو « بلا شك » وصبرت أقول « أحب أن الأمر كيت

وكنت « أرى ان هذا يبدو لي كذلك في الوقت الحاضر » . وان قال غيري  
قولا أراه خطأ ، فاني أحرم نفسي لذة الاعتراض عليه بجملة وانظروا ما ينطوي  
عليه من غلط فاذا أجبته بدأت بأن أبين أن رأيه يصدق في حالات معينة ،  
والكثرة في الجملة الراهنة يظهر أن هناك شيئاً من الاختلاف

« وصار هذا في النهاية عادة راسخة حتى انه في خمسين عاماً تقريباً لم يسمع  
أحد مني عبارة تفسيرية ، والى هذه المصادفة مضافة الى النزاهة يرجع الفضل  
في أنه كان لي تأثير في مواطني ، حين اقترحت مشروعات جديدة أو تنقيحاً في  
مشروعات قديمة كما يرجع اليها الفضل في تفوذي في المجالس العامة »

### إذا كنت مخملاً

إذا وقعت في خطأ فكثيراً ما ينفعك أن تبادر الى الاقرار به . كان  
فردينا ند وارين رساماً تجارياً فلجأ الى هذه الوسيلة لاكتساب رضى مدير  
فنى شكس . حدثني وارين قال : « بعثت اليه حديثاً برسم رسمته بسرعة ،  
فطلب مني بالتليفون أن أحضر اليه في مكتبه على الفور ، فإسأرت عنده  
كان ما توقعته ، فألفيته ساخطاً ومغضباً بالفرصة التي أتت له الإنحاء على  
باللوم وسألني بحدة . لماذا فعلت كذا وكذا ؟ فلجأت الى خطة جديدة  
وقلت : « لقد أخطأت وليس لي أى عذر ، فاني أرسم لك من زمن طويل  
فكان من الواجب أن لا أغلط وإني لفي خجل شديد »

فقاطعت قائلاً . « ان أية غلطة قد تصبح باهظة الكلفة . وكان ينبغي أن  
أكون أشد عناية وسأرسم هذا من جديد »

يرفض قائلاً ، ، لا لا لا . انه لا يخطر لي أن أبشرك كل هذا المشاء ،  
وأنتي علي عملي وأطراء وأكدي أنه لا يريد الا تغييراً طفيفاً لا يستحق كل  
هذا القلق . ذلك أن نقدي لعملي ، استل غضبه ، وقبل أن أنصرف ناولني  
شيكاً وروكل الي عملاً آخر .

### ضمير المفرد المتكلم

هل تريد أن تكسب أصدقاء ؟ إذن كن وهدوا وانس نفسك ، فليس  
الناس يعميين بك وانما هم معنيون بأنفسهم صيحاءً وغمغمة ومساء . وقد  
درست شركة تليفونات نيويورك الحوار التليفوني ، لتعرف أي الألفاظ  
أكثر دوراناً علي الألسنة فاذا هي الضمير « أنا » فقد أستعمل ٣٩٠٠ مرة  
في . . . محادثة تليفونية « أنا » ، « أنا » ، « أنا » .

وهذا هو السبب في أنك تستطيع في شهرين اثنين ، اذا أظهرت العناية  
بأمر شرك ، أن تكسب من الأصدقاء أكثر مما تكسب من الأصدقاء  
أكثر مما تكسب في عامين طويلاين ، اذا حاولت أن تحمل الناس علي العناية  
بأمرك أنت

وكان هذا هو السر في الشهرة العجيبة التي فاز بها ثيودور روزفلت فقدزار  
روزفلت البيت الأبيض يوماً ، ولم يكن الرئيس تافت وزوجته هناك ، فبدأ  
حبيه الصادق لصغار الناس من تحيته لسبكل خادم البيت الأبيض القدماء  
بأسمائهم ، حتى الخاديمات اللواتي يضمنن أواني المطبخ .

كتب ابته يقول ، « ولما رأي أليس خادمة المطبخ سأله عن فطائر الذرة

الأيزال تصنعها ، فقالت انها تصنعها أحيانا للخدم واسكنه لاياً كما أسعد من العلية .

« فقال روزفلت ، « هذا يدل على فساد ذوق وسأقول هذا للرئيس حين أراه .

« فجهاته بقطعة على طبق فذهب ال المكتب وهو يأكلها ويحيى البستانية والعمال وهو يمر بهم ولا يزال هؤلاء يتذاكرون ذلك اليوم وقد قال خادم والدمع يحول في عينيه . « لقد كان ذلك أسعد يوم من بنا في عامين كاملين »

وكان مثل هذا الاهتمام القوي بأمور الناس هو الذي حصل الدكتور تشارلز ايليوت مدير جامعة هارفارد من أنجح من تولوا إدارة الجامعات .

حدث ذات يوم أن طالبها جديدا - ل . ر . ج . كراندون - قصد الى مكتب المدير ليقترض . « ربالا من صندوق الطلبة فأعطاه ما طلب . قال كراندون . « ثم التفت الرئيس إيليوت وقال . « تفضل واجلس » وأدهشني حين استطرده يقول . « لقد قيل لي انك تطبخ طعامك وتتناوله في غرفتك .

وأرى أن هذا حسن اذا حصلت على الطعام الصالح وعلى الكفاية منه وقد كنت أنا أفعل هذا في زمن التحصيل . فهل صنعت قسط فطيرة بلحم العجل انها من خير الأطعمة اذا أتممت انضاجها ، لأنه لا شيء يضيع منها سدى .

والطريقة التي كنت أصنعها بها هي هذه . . . ثم مضى يخبرني كيف أختار اللحم وكيف اطبخه على مهل وبحيث يترك التبخر الحساء كالهلام ثم كيف أقطعه وأضفطه بين وعائين أحدهما في الآخر ثم آكله آخر الأمر باردا .

أفترى يكون هذا لأسلوب صالحا نافعا في الأعمال المالية والتجارية ؟

ان في وسمى أن أورد عشرات من الشواهد

كان تشارلز وولترز من رجال مصرف كبير في مدينة نيويورك فسكف  
أن يحدد تقريرا سريريا عن شركة معينة . وكان لا يعرف سوى رجل واحد  
هنده ما يعني من العلم وهو الرئيس . فلما أدخل وولترز عليه في مكتبه أطل  
رأس فتاة من الباب وقالت إنه ليس عندها له اليوم طوابع يريد أخرى  
قال الرئيس على حبل البيان « اني اجمع الطوابع لابني وهو في الثانية  
عشرة من عمره » .

وشرح وولترز غايته من الزيارة وبدأ يلقي أسئلته فجاءت الاجوبة  
غامضة عامة وكان الحديث وجيزاً عقيماً .

فلم يدر المستر وولترز ماذا يصنع ثم تذكر أن القسم الخارجي من مصرفه  
يجمع الطوابع من الرسائل التي يتلقاها من قارات الأرض جميعها

قال وولترز . « وفي عصر اليوم التالي زرت الرجل مرة أخرى وبعثت  
اليه أنبيته أن معي طوابع لابنه . فخيانى بوجه مشرق الديباجة وجعل يقول  
وهو يتناول الطوابع . « سيمشق جورج هذا وتأمل هذا .. انه كنز ! »

« وقضينا نصف ساعة نتحدث عن الطوابع ثم أفرد لي أكثر من ساعة  
ينفضني الى بكل ما أريد الوقوف عليه حتى من غير أن أسأله »

فاذا كنا نريد أن نكتسب أصدقاء فلنعلن بأن نصنع شيئاً للناس

شيئاً يتطلب وقتاً ونشاطاً وحصافة